# قراءة في رسائل ابن المستوفي الإربلي
# ( ت ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م )

د. منى شفيق كلية التربية / جامعة ديالى

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ توطئة ﴾

يزخر أدبنا العربي الكبير بكثير من الأعلام في مجالي الشعر والنثر اللذين يشكلان قطبي الأدب ، وأفاض الدارسون من نقاد ومؤرخين وباحثين - على هؤلاء بالبحث والدراسة كونهم يمثلون رمزاً مهماً من رموز الحضارة العربية العريقة ، ويشكلون شريحة مؤثرة على مرّ العصور والأزمنة ، وتبقى نتاجاتهم مفخرة للعرب والعروبة كونها تمجّد تاريخهم وتخلّده .

وبالرغم من هذا يبقى عدد غير قليل من هؤلاء بعيداً عن دراسات الباحثين كونهم برزوا في مجالات أخرى أكثر من بروزهم في مجال الأدب ، ولكنهم تركوا بصمات واضحة في تراثنا الأدبي مما يستدعي من الباحثين العلم الحثيث في دراسة نتاجاتهم والاهتمام بهم ، وتعريف القرّاء بآثارهم التي لاتقل أهمية عن نتاجات الشعراء والكتاب البارزين ، ومن هؤلاء ( ابن المستوفي الإربليّ ) الذي انتهت اليه الوزارة في عهد الملك المعظم مظفر الدين كوكيري .

أحاول في بحثي هذا الوقوف على جوانب من سيرته الشخصية ، ومن ثم الشروع في قراءة رسائله العشرين التي جمعها وحققها الاستاذ هلال ناجي على مخطوطة فريدة - قراءة فنية .

وتكمن أهمية هذه الرسائل - كما يذكرها جامعها - في أنها أولى الرسائل التي وصلتنا من ابن المستوفي ، وهي إنموذج لدراسة فن النثر في العراق في العصر الذي كتبت فيه ، وتضيف مادة أدبية وتاريخية جيدة في ميدانها ، وهي مهمة أيضا باعتبارها تمثل مرحلة التدنيّ في الوضع السياسي عامة ، والكاتب يمثل مرحلة ما قبل سقوط بغداد وهي مرحلة مهمة - بلا شك - ، وملامح أسلوب الرسائل هنا تتميز عن رسائل القرنين الثالث والرابع الهجريين وتتأثر بها - بلا شك - . أسأل الله التوفيق .

الباحثة

## المبحث الأول

## ( التعريف بابن المستوفي )

هو أبو البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي ، الملقب شرف الدين ، المعروف بابن المستوفي [١].

وأشار محقق كتاب ـ قلائد الجمان ـ لابن الشعّار ( في هامش ص٣٥ ) أنه ورد في أصل مخطوطة القلائد ( ميمون ) بدلاً من ( موهوب ) ، ( ولعله من سهو الناسخ ) [٢] ، وقال : وقد ذكر في تاريخ إربل ـ من تأليفه ـ اسمه ، وقال : ( المبارك بن أحمد بن المبارك ) ( أبي الفتح أحمد ) وعمه ( علي بن المبارك بن موهوب ) [٣].

ويذكر أن ابن الشعّار ( ت٦٥٤هـ ) أفرد ترجمه مطولة لابن المستوفي في قلائده ، وأثنى عليه كثيراً ، وعلى أدبه وعلمه الجمّ ، وفصاحته وبلاغته ، إذ يقول :

(( الوزير الصاحب ، الكافي العالم ، الأديب الحافظ الكاتب النحوي اللغوي ، الشاعر المصنّف ، واصف درّ المنظوم وزبرجده ، وصائغ لُجين المنثور وعسجده ، ذو القريحة المتوقدّة لهبُها ، والفكرة الخالص من الغش ذهبها .... فقد ألبسه الله من المكارم جلباباً ضافياً ، وأحيا به ربع الفضل بعد أن كان طامساً عافياً ؛ فإنه منذ أكمل العشرين السنين ، استظهر القرآن المبين ، وأغري بنظم القريض ، حتى صار له فيه الباع العريض ... )) [٤].

ويذكر أنه : (( .... خدم السلطان الملك المعظّم مظفر الدين أبا سعيد كوكيري بن علي بكتكين ـ ﷺ ـ في ديواني الوقوف والاستيفاء ، كتب له الانشاء أربعين سنة ، لم يتناول على ذلك أجراً ولا جراية ، كما استمرت عادة المتصرفين في الولايات .... ثم أنه اعتقله في السجن وقيّده ... ولما قبض الملك المعظم وزيره ابا اسحاق ابراهيم بن علي بن الوالي الموصلي ، ورأى نصيحة الصاحب بن أبي البركات ـ أيده الله تعالى ـ ، وكفايته بالأمور السلطانية ، ونهوضه بأدوات المملكة، فوّض إليه أمر وزارته ، واستقل في منصب الوزارة ، وهو كاره لذلك ... ولما توفي الملك المعظم ـ ﷺ ـ وجاءت الدولة المستنصرية ... وتولى الأمير باتكين بن عبد الله ، ندبه لوزارته ... ولم يزل ناصحاً للمسلمين مشفقاً على الفقراء والمساكين ، ناظراً في أمور الرعية والأجناد ، عادلاً في سيرته ، وتوفي ـ رحمه الله ـ )) [٥].

وتجدر الاشارة الى أن ابن الشعّار عاش في كنف ابن المستوفي ست سنوات لما لمسه عنده من فضل وعقل يقول :

(( ثم شاهدت من أفضاله وفضله ، وسعة صدره ، وغزارة عقله وإحسانه الى الأنام ما حبّب إليَّ السكنى بها والمقام ، فعند ذلك استوطنت كنفه الرحب ، ووردت منهل برِّه العذب ، فصحبته ستة أعوام في أرغد عيش وأهناه ، وأطيب زمان وأسناه ، .... )) [٦].

ويبدو أن له منزلة عند شعراء وأدباء عصره ، فمدحه كثير منهم ، وقد أشار الاستاذ هلال ناجي الى هؤلاء ، وأورد نماذج شعرية لهم لا أتطرق الى ذكرها تجنباً للتكرار [٧].

وترك لنا آثاراً كثيرة ومتنوعة ما بين مصنفات ، وأشعار ورسائل ... الخ من آثاره الخالدة ، وذكر منها الاستاذ هلال ناجي سبعة عشر مصنفاً [٨]. وعلى الرغم من نقله معظم هذه المصنفات عن كتاب قلائد الجمان إلا أنه فاته ذكر كتاب ( قناعة الناظر وكفاية المحاضر ) وفيه من ملح الأشعار ومختارها وهو مرتب أبواباً [٩].

وترك نتاجات شعرية جميلة جيدة المعاني يصفها ابن الشعّار بقوله : (( وسأجلو عليك طرفاً من عرائس أبكاره ، لتجني غرائس أفكاره ، من منظومة البديع ، ما يزري حسناً على زهر الربيع ، ويزري بجواهر العقود ولآلئها ، ويفوق النجوم في إشراقها وتلألؤها ، حاكه طبعه الشريف ، وصقله ذهنه اللطيف ، فجاء مُدبّجاً ، مُحَبَّراً ، مُفوَّفاً ، مُنوَّراً )) [١٠].

ثم يورد له ثلاثمائة وثمان وثمانين بيتاً من الشعر توزعت على ( بيت يتيم واحد ، وتسع وعشرين نتفة ، وأربع وعشرين مقطعة شعرية ، وست عشرة قصيدة ) [١١].

وأورد له الاستاذ هلال ناجي ( خمساً وأربعين ) بيتاً خرّجها من مصادر مختلفة ذكرت شعره توزعت على ( أربع نتف ، وأربع مقطعات ، وقصيدتين ) [١٢] .

والى جانب حسن خلقه وفضله الجمّ فقد اتفق الكثير من العلوم التي وضعته في مكانة مرموقة عند المؤرخين ، يقول عنه المنشئ الإربلي : (( اللغوي النحوي المحدث الكاتب المؤرخ الثقة فارس الآداب المجلي في ميدانها .... صاحب الرواية العالية وربّ الفضائل المتوالية )) [١٣].

ويصفه المنذري بقوله : (( كان فاضلاً ، كثير الحفظ ، حسن الإيراد ، جيّد الخط .... وله شعر جيد ونثر جيد )) [١٤].

ويصفه ابن الشعّار بقوله : (( ثم أنه أعلم هذا الزمان ، بعلمي المعاني والبديع ، ومعرفة الأشعار النادرة ، والأمثال السائرة ، والرسائل والتبحر في فنون الفضائل ، والاطلاع على سير المتقدمين ، وعلم التصرف ، ومما يتعلق بفن المساحة والأشغال الديوانية مافاق به كل بليغ في بيانه ، وعالم في فنّه وإتقانه )) [١٥] .

وفاته :

توفي ابن المستوفي يوم الأحد في الخامس من محرّم سنة ٦٣٧ هـ ، ودفن بالمقبرة السابلة خارج باب الجصاصة ـ رحمه الله ـ [١٦]

وذكر ابن الشعار في وفاته : أنه لما قبض الأمير لؤلؤ بن عبد الله البدري ـ بعد هروب ابن المستوفي من هجوم التتار على إربل ومقامه في الموصل ـ (( تضاعفت آلامه ، وكثر تأسفه ، واستولى عليه الهمّ ، واشتد فكره ، وعيل صبره على مفارقته ، وصار في أنكد عيش وأمرّه فلم يبرح ذا هموم زائدة ، وغموم متوافرة ، الى أن ناداه الحيّ القيّوم ، وفاجأ الأجل المحتوم ، وأصابته عين الكمال ، واخترمته ريب المنون ، ولم ينفعه يومئذٍ لا مالٍ ولا بنون )) [١٧].

إلا أنه لم يذكر سنة وفاته ـ وهو أمر غريب حقاً ـ كونه لازمه ست سنوات ـ كما أشرنا ـ وكانت علاقتهما متينة جداً حتى أنه رثاه بقطعة نثرية وردت في ترجمته له قائلاً : (( فيا لله ! أيّ نجم للفضائل هوى ، وغصن للمكارم ذوى ، فلقد انهدم ركن السماحة ، وفلّ شبا الفصاحة ، وميّلت اليراع أسفاً على قدودها ، ولطمت الدّوى كآبة عليه خدودها ، وبكت عيون الآداب وشقت جيوبها ..... )) [١٨].

وذكر الاستاذ هلال ناجي أن الشاعر أبا العزّ يوسف بن النفيس قد رثا ابن المستوفي ببيتين شعريين [١٩]ـ ذكرهما ـ إلا أنني لم أجدهما في أشعاره التي أوردها ابن الشعّار في ترجمتين ليوسف بن النفيس [٢٠]

## المبحث الثاني

## ( قراءة فنية )

يمكن وضع رسائل ابن المستوفي في باب الرسائل الديوانية ، أو مايعرف بالمكاتبات الرسمية التي غالباً ما تكتب عن رجال السياسة والجيش بأقلام الكتّاب المتخصصين بصنعة الكتابة ، وهم كما قال الجاحظ :

(( لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة ، والمعاني المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن ، وعلى السبك الجيّد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد ، وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلّت الأقلام على مدافق الألفاظ ، وأشارت الى حسان المعاني )) [٢١] .

وتتميز رسائله بجملة خصائص يمكن إجمالها بما يأتي :

١) أول ما يطرق السمع في رسائله استهلالاته المتنوعة ، ويعد الاستهلال من العناصر الفنية في الأدب بشكل عام وإن كانت إشارات مقتضبة أحياناً .

يقول ابن الأثير :

(( خُص الافتتاح بالاختيار لأنه أول ما يطرق السمع من الكلام ، ويجب أن يراعى فيه سهولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، ويجب أن يكون الافتتاح مرتبطاً ... ببراعة الاستهلال ، فإن براعة الاستهلال من أخص أسباب النجاح . )) [٢٢].

والملاحظ أنه قلّما يستهل رسائله بالصلاة على النبي وآله وصحبه ، وإنما يستهلها عموماً بالدعاء للوالي والسلطان الذي جاء على سبيل الاطراء المبالغ فيه : كمال ذي الحاجة الذي يلّح في طلب حاجته ، وعادة ما يكون الدعاء بصيغة الفعل الماضي ، مثال ذلك ما جاء في قوله :

(( وصل كتاب المجلس السامي أدام الله سعادته أريجاً عطرها ، وحرس سلامته بهيجاً نشرها ، وعمر رباع كرمه بحبائه خصيبه ، وأمال أغصان نعمه لديه رطيبة ، ونشر من ثنائه ، ما يدل على طيب أنبائه ، وسيَّر من شكره ...)) [٢٣].

وأكثر المصنف من ذكر الجمل الاعتراضية التي أفادت الدعاء للمرسل إليه ، وهي عادة ما تتضمن الدعاء للمرسل إليه بالعزّ والسعادة وطول البقاء [٢٤]. ومثل هذا الأسلوب يسمى ( الاطناب بالاعتراض ) لنكت بلاغية يخرج اليها كالدعاء - وهو الأظهر - والتنزيه وزيادة التأكيد ، مثال ذلك رسالة يقول فيها :

(( ما زال فلان - أدام الله تعالى ضافي ظله ووارفه ، وأضرل لديه عوافي طوْله وعوارفه ، وأشرق في قلل السعادة مطلع شمسيه ، وجعل ما يستقبله من غده خيراً مما استدبره من أمسه ، وقى بهجته ، وحمى حوزته بمحمد وآله . )) [٢٥].

ويتبين أن الجمل الاعتراضية سواء في مخاطبة الملوك أم الأشخاص قصرت مرة وطالت مرات كثيرة بحسب أغراض الرسالة . وقد يستهل رسالته بأبيات شعرية فقط كما فعل في رسالة كتبها سنة أربع وتسعين وخمسماية ، أنفق به الوزن انفاقاً :

حرس الله فلاناً فإنه بدر المتأمل ، وغيث المؤمّل .

(( يبدو ويشرق من ضياء جبينه نور يضيء الليل وهو بهيم
يعطي فيحيا من عطاءٍ يمينه مَيْت من الآمال وهو رميم )) [٢٦].

ورسالة أخرى يبدؤها :

(( نسب كساه الله من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
عريان لا يكبو دليل من عمى فيه ولا يبغي عليه شهوداً )) [٢٧].

وقد يفتتح رسالته ويختتمها بالشعر من ذلك قوله :

(( دُيت من الشوق فلو أنني عثرت بالاسنان لم يَدْر

وصلني كتاب مولاي حرس الله تعالى مدّته ، ووقى مهجته ، يذكر فيه أني باعدته وقد أدناني ، وأنشد :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب)) [٢٨].

أو يستخدم الشعر في المطلع والوسط [٢٩]، أو في الوسط فقط [٣٠].

وينماز النص الأدبي المشتمل على الاقتباس بأنه ينقل دلالة مزدوجة قائمة على المباشرة والايحاء من خلال اقتباس قالب جاهز من القرآن ... بإذابة هذا القالب ، فإنه يعد تنبيهاً للمتلقي على أن النص أصبح في صياغته دليلاً جديداً متصلاً بنظام بلاغي آخر غير النظام اللغوي البسيط [٣١].

وقد يفتتح رسالته بآية من القرآن ويختتم أيضاً بآية من القرآن ، مثال ذلك رسالة كتبها في ذي القعدة سنة إحدى وستمائة ، وهي جواب كتاب أنفذه المولى مالك الرّق أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين صاحب إربل ـ أدام الله ظله ـ الى نوابه بإربل ووقّع في أوله بخطه الكريم .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [٣٢] . ﴿ اشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ [٣٣].

يوصيهم على حفظ ما عهد اليهم ، والتمسك بما ألقى مقاليده .... وإلاّ يؤمنهم عاقبة مكره فيما يستدرجهم به من فعلهم ، وإلاّ يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ [٣٤] ﴾ [٣٥].

أو أنه يستهل بآية ويستشهد في وسط الرسالة بآية أخرى ، مثال ذلك : ما كتبه في سنة إحدى وستمائة ، وقد ورد الى الأطراف خلع وليّ العهد : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾ [٣٦].

إن الله تقدّست أسماؤه ، وجلت كبرياؤه ، وتظاهرت نعماؤه ....

وعَلِمَ أن الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ [٣٧] )) [٣٨].

وتجدر الاشارة الى أن النصوص الأدبية تقوم على تشابك وتداخل حقول دلالية متعددة ، تستقطب داخلها كل كلمات النص [٣٩]، ويمكننا القول أن التضمين من القرآن الكريم جاء مغنياً للنصوص .

يتبين مما سبق أن تضمين رسائله بنصوص قرآنية أو شعرية ... الخ وجد طريقه الى رسائله لما كان لهذه النصوص من قوة تأثير عالية ، وقدرة في المحاجّة ، وجزالة في الألفاظ ، وعمق في الصورة تمكنها من المزج والذوبان في النصوص الأدبية عامة ، ورسائل ابن المستوفي خاصة .

٢) امتازت رسائله أيضاً بالسجع غير المتكلف الذي يأتي عفو الخاطر ، ويمتدح النفس في انسياب موسيقي ظاهر ليسهل حفظه وتذكره ـ على ما أعتقد ـ ، ولم يخرج المؤلف

عن نمط السجع المتردد في نصوصه أبداً ، فجاءت الفقرات المسجوعة بفواصل متعددة منسجمة الموسيقى والتلاؤم الصوتي يتناسب مع المعنى المقصود في الرسالة المحررة ، فالسجع يكون له دور كبير في دعم المعنى والنهوض به ، إذا جاء أصلياً وليس مفتعلاً [٤٠]. فهو ليس عنصراً مستقلاً يضاف من الخارج الى المحتوى ، بل هو جزء لا يتجزأ من مسلسل الدلالة [٤١].

لذا نجد أن رسائل ( ابن المستوفي ) جاءت مسجوعة في أغلبها بأنواع مختلفة من السجع ، فنجد مثلاً السجع المتوازي الذي تتفق فيه اللفظة الأخيرة والفاصلة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي [٤٢].

من ذلك قوله في كتاب الى الديوان العزيز الناصر لدين الله في ذي القعدة سنة أربع وتسعين وخمسمائة :

(( المستظلُّ بجناب الديوان العزيز النبوي ، الطاهر الزكي ، المقدس الرضي ، المعظم الامامي ، الناصر لدين الله .... )) [٤٣].

ونجد أيضاً السجع المركب الذي تصنع فيه سجعتان ، أو أكثر داخل السجعة الواحدة الأم [٤٤]. من ذلك قوله :

(( يقبّل الأرض بين يدي الجناب المولويّ ، أدام الله سلطانه ، ونصر أعوانه ، وظاهر لديه إنعامه وامتنانه ، ووالى له أفضاله وإحسانه ، وجعل النصر معقوداً بألويته ، والظفر معصوباً برايته ، والعدل ظاهراً في دولته ، والدين منصوراً بدوام نصرته ... الخ )) [٤٥].

وقد نجد بين رسائله رسالة مسجوعة متغيرة الفاصلة على عادة القدماء ، من ذلك ما كتبه سنة ست وثمانين الى صديق له :

(( طالت الفترة بين كتبي وكتب سيدي فلان ـ أيّد الله علْوَه ، وحرس سُمّوه ، وحقق مرجُوّه ، وقرن بكل صالحة رواحه وغُدُوه ، وكبت ضدّه وخذل عدّوه ، وجعل الايام كفيلة بطول بقائه ، والليالي ضامنةً لإتمام نعمائه ، وأهلّ عليه الأشهر مؤذنةً بنبل مرامه .... )) [٤٦].

وصفوة القول أن المستوفي حاول إخضاع الموسيقى في تنوعها الى تنوع المعاني المطروحة والعواطف ؛ لأن (( لكل عاطفة ومعنى نعمة خاصة أليق به وأقدر على تعبيره )) [٤٧] مستعملاً ضروباً من السجع حاضرة في بناء نصوص رسائله .

٣) عدم الميل الى حوشي الكلام وغريبه لاسيّما المفردات الموظفة داخل النص إلا ما ندر ، فأسلوبه في كل رسائله لايحتاج الى كدّ ذهن وإعادة مراجعة ، وعودة كثيرة الى المعجم ، وهو ما أسميه السهل الممتنع ، فهو ـ أي أسلوبه ـ على بساطته ويسره صعب التأليف لما فيه من شرف النظم وعلاقات الألفاظ ، وهو كما يبدو بارع في ذلك أيّ براعة .

٤) الاستعارة بنوعيها المكنية والتصريحية تهيمن على أسلوبه ، وهذا ما جعل لغته شعرية ذات أثر في النفس ، مثل قوله في رسالة :

(( .... وبشّرت نفسي قطافها )) [٤٨] ، وقوله : (( فيالها من نعمة تفيّأ بظلّها ، وعصمةٍ استمسك بجيلها ... )) [٤٩].

أما الكناية فقد كانت سراجه ومنهاجه ، إذ لاتؤدي العبارة أو المفردة إلا غيّر ظاهرها أبداً فهو لا يريد من كلامه الظاهر بل يكني بلا حدود مثل قوله :

(( وقد علم مولاي أني أنفقت عليه بضاعةً مالُها العُمر ، وطاعنت دونه خيلاً من فوارسها الدهر ، وأغضبت منه على القذى ... )) [٥٠].

٥) قلّة استخدام الجناس ، فقد يستخدمه ناقصاً ، مثل : (( النائبات ، والنائيات ، الضافية ، الصافية )) [٥١].

وقد يستخدمه تاماً مثل قوله : (( وكفاه حلول الحادثات ، الحادثات )) [٥٢] و (( وراع يرأب شِعْبَهُ ويؤضّ شَعْبَه )) [٥٣].

ولا يميل الى الطباق إلا ما ندر كما نجده في قوله : (( لما ألهمنا الله تعالى من العدل الذي شمل الحاضر والغائب نصره ، وعُني بالقاصي والداني أمره ... ونشر العدل بين القوي والضعيف ... ونشر الحق بين الخاص والعام )) [٥٤].

٦) المبالغة والإسفاف في المدح ، فهو لايألُ جهداً في تمجيد الممدوح أو موضوع الرسالة وإن استدعى ذلك توظيف الشعر داخل النص النثري [٥٥].

٧) استخدام بعض المفردات الأعجمية التي لم تشع على ألسنة الأعراب أو الفصّاح من الكتّاب ، مثل : ( الجناب المولوي ) [٥٦]، و( الأذريون ) [٥٧].

٨) وأخيراً لا يفوتني إلا أن أشير الى أن مجمل رسائله ذات نفس طويل إلا ما ندر كما نلاحظ في رسالته رقم (١٧) [٥٨]، فهي مختصرة ، وكذلك رسالة رقم (٢١) [٥٩]، وهو ما يؤكد قدرته الفائقة في الكتابة .

## ﴿ الخاتمة ﴾

بعد هذه الوقفة المتواضعة على رسائل ابن المستوفي يمكنني أن أجمل ما توصل اليه البحث بما يأتي :

١. كشف هذه الرسائل قدرة ابن المستوفي الفائقة في الكتابة الفنية التي يمكن أن تصنف على أساسها رسائله ، ويتضح ذلك من خلال هذا النفس الطويل في الكتابة .

٢. تنوّع الأساليب البلاغية وإن لم يكن استخدامها على وتيرة واحدة ، ولكن الهيمنة فيها للسجع الذي هو أخص خصوصيات النثر الفني ، الذي كان مطيته التي امتطاها في كتابة هذه الرسائل .

٣. يمكن القول أن جُلّ رسائله واضح عليها الطابع الاسلامي من حيث كثرة استخدامه الدعاء باستعمال الألفاظ الدينية ، وهو متأت من ثقافته الدينية كما يبدو .

٤. خلو رسائله من الألفاظ الصعبة على الفهم وإن كان قد استعمل بعض الألفاظ الأعجمية التي شاعت في ذلك الوقت بتأثير دخول العناصر غير العربية الى مراكز حيوية من جسد الدولة العربية الاسلامية .

الباحثة

## الهوامش :

(١) وفيات الأعيان :١٧٤/٤ ، والتذكرة الفخرية :٧٥ ، وبغية الوعاة :٢٧٢/٢ ، والتكملة للمنذري :٥٢٢/٣ ، والعسجد المسبوك :٤٩٥ ، وهدية العارفين :٣/٢ ، والبداية والنهاية : ١٣٩/١٣ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٩/٣ ـ ٥٠ ، الأعلام : ١٤٩/٦ ، تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، الترجمة العربية : ١٧٦/٥ ، ومعجم المؤلفين : ١٧٠/٨ ـ ١٧١ ، وقلائد الجمان ، ابن الشعار : ٣٥/٦ .

(٢) ينظر : القلائد : ٣٥/٦ هامش رقم (١) .

(٣) تاريخ إربل ، ابن المستوفي : ١٩/٢ .

(٤) القلائد : ٣٦/٦ .

(٥) م . ن والجزء : ص٤٠ ـ ٤١ .

(٦) م . ن والجزء : ص٤٠ .

(٧) تنظر : رسائل ابن المستوفي : ص١٠ ـ ١٥ .

(٨) م . ن : ص٢٣ ـ ٢٥ .

(٩) القلائد : ٣٩/٦ .

(١٠) م . ن والجزء : ص٤١ .

(١١) ينظر : م . ن والجزء : ٤١ ـ ٦١ .

(١٢) تنظر : رسائل ابن المستوفي : ١٦ ـ ١٨ ، وكذلك تنظر ص٢١ .

(١٣) التذكرة الفخرية :٧٥ .

(١٤) التكملة للمنذري : ٥٢٢/٣ .

(١٥) القلائد : ٣٦/٦ .
(١٦) ينظر : وفيات الأعيان : ١٥١/٤ ، والتكملة للمنذري : ٥٢٢/٣ ، والعسجد المسبوك :ص٤٩٥ .
(١٧) القلائد : ٣٧/٦ .
(١٨) م . ن : ٣٨/٦ .
(١٩) تنظر : رسائل ابن المستوفي : ص٢٥ .
(٢٠) تنظر : القلائد : ٣٠٥/١٠ ـ ٣٠٩ .
(٢١) البيان والتبيين : ٢٤/٤ .
(٢٢) المثل السائر ، ابن الأثير : ص٦٤ .
(٢٣) رسائل ابن المستوفي : ٣٨ ، وينظر على سبيل المثال : ص٤٢ وص٤٩ .
(٢٤) ينظر : إحكام صنعة الكلام ، ص
(٢٥) رسائل ابن المستوفي ، ص٥١ ، وينظر على سبيل المثال : ص٥٧ وص٥٩ .
(٢٦) م . ن ، ص٤٣ .
(٢٧) م . ن ، ص٤٥ .
(٢٨) ينظر : م . ن ، ص٤٤ .
(٢٩) ينظر : م . ن ، ص٤٥ ـ ٤٦ ، وص ٥٧ـ ٥٨ .
(٣٠) ينظر : م . ن ، ص٣٩ ، وص٥٩ .
(٣١) الآية رقم (٢٣) من سورة الأحزاب .
(٣٢) الآية رقم (٣٣) سورة الأحزاب .
(٣٣) ينظر : النقد والحداثة ، د. عبد السلام المسدي ، ص٣٩ .
(٣٤) الآية رقم (٨) سورة آل عمران .
(٣٥) رسائل ابن المستوفي ، ص٤٩ ـ ٥٠ .
(٣٦) بعض من الآية (٣٨) ، والآية (٣٩) سورة الرعد .
(٣٧) الآيتان الكريمتان (٢٧، و٢٨) سورة الأنفال .
(٣٨) رسائل ابن المستوفي ، ص٥٣ـ٥٦ .
(٣٩) ينظر : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدي ، ص١٢٦ .
(٤٠) ينظر : شعرية النثر في صدر الاسلام (بحث) د. عباس محمد رضا ، ص١٩ ـ٢٠
(٤١) ينظر : بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ص٣٢ .
(٤٢) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، ١٥٢/٢ .
(٤٣) رسائل ابن المستوفي ، ص٣٦ ، وينظر على سبيل المثال : م . ن ، ص٣٨ ، وص٤٢ .
(٤٤) ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص٣٤٣ .
(٤٥) رسائل ابن المستوفي ، ص٣٥ ، وينظر على سبيل المثال : ص٣٨ ، وص٤٠ .
(٤٦) م . ن ، ص٥٧ .

(٤٧) أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ص٣٢٢ .
(٤٨) رسائل ابن المستوفي ، ص٤٤ .
(٤٩) م . ن ، ص٣٥ ، وينظر على سبيل المثال ، ص٣٢ .
(٥٠) م . ن ، ص٤٤ ، وينظر على سبيل المثال ، ص٥٢ .
(٥١) م . ن ، ص٤٣ ، وينظر على سبيل المثال ، ص٤٠ ، وص٣٤ .
(٥٢) م . ن ، ص٥٤ .
(٥٤) م . ن ، ص٣٣ ، وينظر على سبيل المثال ، ص٣٧ .
(٥٥) ينظر : م . ن ، الرسالتان ٦،و٧ ، ص٣٨و٤٢ .
(٥٦) ينظر : م . ن ، ص٣٥، وص٤١ .
(٥٧) ينظر : م . ن ، ص٣٩ .
(٥٨) ينظر : م . ن ، ص٥٧ .
(٥٩) ينظر : م . ن ، ص٦١ .

## ﴿ قائمة المصادر ﴾


- القرآن الكريم .

١. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، توفيق الزيدي ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، د.ط ، ١٩٨٣ .

٢. إحكام صنعة الكلام ، محمد عبد الغفور الكلاعي ، تح : محمد رضوان الداية ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٣. أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٤٦ .

٤. الأعلام ، قاموس تراجم ، خير الدين الزركلي ، ط٢ ، القاهرة .

٥. البداية والنهاية ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤ هـ ، مصر ، ١٩٣٢

٦. بغية الوعاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٧. بنية اللغة الشعرية ، جان كوهين ، ت. محمد الولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط١، ١٩٨٦ .

٨. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٤٨ .

٩. تاريخ الأدب العربي : بروكلمان ، نقله الى العربية رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مصر ، ١٩٧٥ .

١٠. تاريخ إربل ، المبارك بن المستوفي الإربلي ت ٦٣٧ هـ ، تح : سامي الصقار ، بغداد ، ١٩٨٠ .

١١. التذكرة الفخرية ، علي بن عيسى المنشئ الإربلي ، تح : نوري القيسي ، ط٢ ، عالم الكتب ، بيروت .

١٢. رسائل المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب الملقب شرف الدين بن المستوفي اللخمي الإربلي الكاتب (٥٦٤ هـ ـ ٦٣٧ هـ ) ، تح : الاستاذ هلال ناجي ، عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

١٣. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة (٢٥) جزءاً ، حققه محققون عدة ، وأشرف على تحقيق الكتاب وتخريج أحاديثه شعيب الأرنؤوط .

١٤. شعرية النثر في صدر الاسلام ( بحث ) ، د. عباس محمد رضا ، مجلة جامعة القادسية ، ع ١٦ ، ٢٠٠١ .

١٥. العسجد المسبوك ، الملك الأشرف الغساني ت ٨٠٣ هـ ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ، بيروت ، ١٩٧٥ .

١٦. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ، مكتبة الحياة ، مصر ، د . ط .

١٧. قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ ( عقود الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ) ، كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤هـ ، تح : كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م ، ( ٨ أجزاء ) .

١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، قدمه وشرحه وعلق عليه ، د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض ، السعودية ، ط٢ ، ١٩٨٤ .

١٩. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دمشق ، ١٩٦١ .

٢٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، ١٩٨٦ .

٢١. النقد والحداثة مع دليل بيلوغرافي ، د. عبد السلام المسديّ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ .